

## التطير بشهر صفر

### مسعود عالم عبد القيوم السلفى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

طيرة الناس لا ترد قضاء      فاعذر الدهر لا تشبه بلوم  
أى يوم تخصصه بسعود      المنايا ينزلن فى كل يوم  
ليس يوم الا وفيه سعود      ونحوس تجرى لقوم وقوم

الطيرة — بكسر ففتح — ما يتشاءم به من الفأل الردى، يقول ابن الأثير: "وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطباء والطير وغيرهما وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه". (١) يقول الله تعالى فى قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم صالح عليه السلام ﴿قالوا اطينا بك وبمن معك قال طائركم عند الله﴾ (النمل: ٤٧) اطينا أى تشاء منا، وقوله: ﴿طائركم معكم﴾ (يس: ١٩) أى شؤمكم معكم وهو كفرهم، وقوله فى قصة موسى ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾ (الاعراف: ١٣١) أى يتشاءموا به ويقولوا: ما أصابنا ذلك الا بشؤمهم.

وقال ابن منظور: التطير: التشاؤم، والطائر: ما تشاءم به، والطائر الحظ وهو الذى

تسميه العرب البخت، والطيرة، ما يتشاءم به من الفأل الردى. (٢)

وكانت العرب فى الجاهلية تعتمد على الطير فإذا أرادت المضي لمهم مرت بمجاثم الطير وأثارها لتستفيد هل تمضى أو ترجع، فإن رأوا الطير طار يمناً تيمنوا به واستمروا إن رأوه طار يسرة تشاءموا به ورجعوا، وربما كان أحدهم يستدل بفعله على تقديره فيعتمد عليه، فجاء الشرع بالنهى عن ذلك، وكانوا يسمونه السانح والبارح، فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس، وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون

(١) النهاية لابن الأثير ٢ / ١٥٢. (٢) لسان العرب ٥ / ٢٧٣٥ - ٢٧٣٨.

بالبارح، وليس فى شئ من سنوح الطير وبروحها ما يقتضى ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطى ما لا أصل له، إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانة جهل من فاعله، وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركة قال شاعر منهم:

الزجر والطير والكهان كلهم      مضللون ودون الغيب أقفال

وقال آخر:

وما عاجلات الطير تدني من الفتى      نجاحا ولا عن ريثهن قصور

وقال آخر:

تخير طيرة فيها زياد      لتخبره، وما فيها خبير  
تعلم أنه لا طير إلا      على متطير وهو الثبور  
بلب شئ يوافق بعض شئ      أحايينا، وباطله كثير

وكان أكثرهم يتطيرون ويعتمدون على ذلك ويصح معهم غالبا لتزيين الشيطان ذلك، وبقيت من ذلك بقايا فى كثير من المسلمين، فكثير من جهال المسلمين يتشاءم بزمان كيوم أو شهر أو سنة، أو يتشاءم ويتطير ببعض الناس كالأعمى والأبرص والأعور، أو بعض المخلوقات كالغراب والبوم من الطيور، أو العقرب والفر من الزواحف أو الهواء والبرد والحر ونحو ذلك، وهذا التشاؤم من الاعتقادات الجاهلية التى انتشرت بين كثير من جهال المسلمين، نتيجة جهلهم بالدين عموما، وضعف عقيدة التوحيد فيهم خصوصا، وسبب ذلك الجهل، ونقص التوحيد، وضعف الايمان، وعدم انتشار الوعي الصحيح فيهم، ومخالطة أهل البدع والضلال، وقلة من يرشدهم ويبين لهم الطريق المستقيم، وما يجب اعتقاده وما لا يجوز اعتقاده، فاعتقاد التطير والتشاؤم من الأزمان أو بعضها أو من المخلوقات مخالف للعقيدة الاسلامية، مع هذا كثير من الناس يتشاءم ويتطير بشهر صفر ويعتقد أنه شهر مشؤوم ومنحوس، فكانوا يمنعون السفر فيه، أو الحرب فيه، أو أنه من سافر فيه لقي حتفه أو ما يضره، وقد قال بعض هؤلاء الجهال: ذكر بعض العارفين أنه ينزل فى كل سنة ثلاث

مائة وعشرون الفا من البليات، وكل ذلك فى يوم الأربعاء الأخير من صفر، فيكون ذلك اليوم أصعب أيام السنة كلها، فمن صلى فى ذلك اليوم أربع ركعات، يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وسورة الكوثر سبع عشرة مرة والاخلاص خمس عشرة مرة، والمعوذتين مرة، ويدعو بعد السلام بهذا الدعاء، حفظه الله بكرمه من جميع البليات التى تنزل فى ذلك اليوم ولم تحم حوله بلية فى تلك السنة، وهذا هو الدعاء بعد البسملة: اللهم يا شديد القوة، ويا شديد المحال، يا عزيز، يا من ذلت لعزتك جميع خلقك، اكفنى من شر خلقك، يا محسن يا مجمل يا متفضل، يا منعم، يا متكرم، يا من لا اله الا أنت، ارحمنى برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم بسر الحسن وأخيه وجده وأبيه وأمه وبنيه، اكفنى شر هذا اليوم وما ينزل فيه يا كافى المهمات ويا دافع البليات، فسيكفيهم الله وهو السميع العليم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين- (١)

تفكروا معي أيها المسلمون هل يتقرب الى الله بهذه الألفاظ والتوسلات الشركية؟ وإنما هذا دليل واضح على بدعية وضلالة هذه الأدعية التى هى من وضع بعض الجهال من الصوفية وأضرابهم.

وكذلك ما يفعله بعض الناس فى اجتماعهم فى آخر الأربعاء من شهر صفر بين العشاءين فى بعض المساجد، ويتحلقون الى كاتب يرقم لهم على أوراق آيات السلام السبعة على الأنبياء وهى:

١ - سلام قولاً من رب رحيم ٢ - سلام على نوح فى العلمين ٣ - سلام على ابراهيم  
٤ - سلام على موسى وهارون ٥ - سلام على الياسين ٦ - سلام عليكم طبتم فادخلوها  
خالدين ٧ - سلام هى حتى مطلع الفجر- ثم يضعونها فى الأوانى، ويشربون مائها ويعتقدون انهم يسلمون بها عن كل الآفات والآلام ثم يتهاذونها الى البيوت- (٢)

ولا شك أن التشاؤم بصفر أو بيوم من أيامه هو من جنس الطيرة المنهى عنها، فعن

(١) فتح البارى ١٠ / ٢٦٢ - ٢٦٣ -

(١) يراجع: رسالة روى الظمان فى فضائل الأشهر والأيام ص: ٤،

(٢) راجع: اصلاح المساجد ص ١١٦ -

أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: لا عدوى (١) ولا طيرة ولا هامة (٢) ولا صفر (٣) متفق عليه (٤) وفى رواية لمسلم قال رسول الله ﷺ لا عدوى ولا غول ونوء (٥) ولا صفر (٥)، وقد أخرج الامام أحمد فى مسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قام فىنا

(١) المراد به نفي ما كانت الجاهلية تزعمه وتعتقد أنه المرض والعاة تعدى بطبيعتها من غير اضافة الى الله، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم (جاء عن جابر أن النبي ﷺ أكل مع المجذوم وقال: ثقة بالله وتوكلا عليه" ذكره الحافظ فى الفتح ١٠/٩٧، والنووى فى شرح مسلم ٧/٤٦٣ وسكتنا عنه) ليبين لهم أن الله هو الذى يمرض ويشفى، ونهاهم الدنو منه (جاء فى رواية أبى هريرة: "فر من المجذوم كما تفر من الأسد" صحيح البخارى مع الفتح ١٠/٩٥) ليبين لهم أن هذا من الأسباب التى أجرى الله العادة بأنها تفضى إلى مسبباتها، ففى نهيه إثبات الأسباب، وفى فعله إشارة الى أنها لا تستقل، بل الله هو الذى إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا، وإن شاء أبقاها فأثرت. (فتح البارى ١٠/١٩٨)

وقال الحافظ ابن حجر نقلا عن القرطبي: انما نهى رسول الله ﷺ عن ايراد الممرض على المصح مخافة الوقوع فيما وقع فيه أهل الجاهلية من اعتقاد العدوى أو مخافة تشويش النفوس وتأثير الأوهام، وهو نحو قوله: "فر من المجذوم فرارك من الأسد" وإن كنا نعتقد أن الجذام لا يعدى، لكننا نجد فى أنفسنا نفرة وكراهية لمخالطته، حتى لو أكره انسان نفسه على القرب منه وعلى مجالسته لتأذت نفسه بذلك، فحينئذ فالأولى للمؤمن أن لا يتعرض الى ما يحتاج فيه الى مجاهدة، فيتجنب طرق الأوهام، ويباعد أسباب الآلام، مع أنه يعتقد أنه لا ينجى حذر من قدر الله، والله أعلم. (فتح البارى ١٠/٢٠٠) فالحاصل أن الأمور التى يتوقع منها الضرر وقد أباحت الحكمة الربانية الحذر منها فلا ينبغى للضعفاء أن يقربوها وأما أصحاب الصدق واليقين فهم فى ذلك بالخيار.

(٢) الهامة: طير من طير الليل وهى البومة، كان العرب يتشاءمون بها، اذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت الى نفسي أو أحد من أهل دارى. وقيل: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير ويسمون ذلك الطائر الصدى. فعلى هذا فالمعنى فى الحديث لا حياة لهامة الميت، وعلى الأول لا شؤم بالبومة ونحوها، وبالنظر لهذين التفسيرين ترجم الامام البخارى باب "لا هامة" مرتين. (فتح البارى ١٠/٢٩٦)

(٣) صحيح البخارى مع الفتح ١٠/٢٦١، كتاب الطب، حديث رقم (٥٧٥٧) وصحيح مسلم ٤/١٧٤٥، السلام، حديث رقم (٢٢٢٢).

(٤) ولا غول: قال الجمهور: كانت العرب تزعم أن الغيلان فى الغلوات، وهى جنس من الشيطان تتراءى للناس وتتغول لهم تغولا أى تتلون تلونا فتضلهم من الطريق فتهلكهم، قد كثر فى كلامهم، غالته الغول "أى أهلكته أو أضلته، فأبطل النبي ﷺ ذلك. وقيل ليس المراد إبطل وجود الغيلان، وإنما معناه إبطل ما كانت العرب تزعمه من تلون الغول بالصور المختلفة، قالوا: والمعنى: لا يستطيع الغول أن يضل أحدا. فتح البارى ١٠/٩٦، وشرح صحيح مسلم للنووى ١٤/٢١٦-٢١٧.

(٥) لا نوء: كانوا فى الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء إما بصنعه على زعمهم وإما بعلامته فأبطل الشرع قولهم وجعله كفرا، لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا. (راجع للتفصيل: فتح البارى ٢/٦٧٥).

(٦) صحيح مسلم ٤/١٧٤٥، كتاب السلام، حديث (٢٢٢٢).

رسول الله ﷺ فقال: لا يعدى شئ شيئا فقال أعرابي: يا رسول الله البعير أجرب الحشفة (١) ندبته (٢) فيجرب الابل كلها؟ فقال رسول الله ﷺ "فمن أجرب الأول؟ لا عدوى ولا صفر، خلق الله كل نفس فكتب حياتها ورزقها ومصائبها. (٣)  
وورد في الأحاديث السابقة لفظ "ولا صفر" وقد اختلفت العلماء في تفسيره على أقوال:

الأول: قال كثير من المتقدمين: الصفر داء في البطن يقال: انه دود فيه كبار كالحيات وهو أعدى من الجرب عند العرب، فنفي ذلك النبي ﷺ وممن قال بهذا من العلماء ابن عيينة، والامام أحمد والطبري (٤) ورجح البخاري هذا القول لكونه قرن في الحديث بالعدوى وترجم في صحيحه باب "لا صفر، وهو داء يأخذ البطن". (٥)

وقيل: المراد بالصفر: الحية في البطن تصيب الماشية والناس، لكن المراد بالنفي نفى ما كانوا يعتقدون أن من أصابه قتله، فرد ذلك الشارع بأن الموت لا يكون الا اذا فرغ الأجل، يقول الله تعالى: ﴿ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾، وقد جاء هذا التفسير عن جابر وهو أحد رواة حديث "ولا صفر". (٦)

الثاني: وقالت طائفة: بل المراد بصفر هو شهر صفر، ثم اختلفوا في تفسيره على قولين:

١ - أن المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلون في النسيء، فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه فجاء الاسلام برد ما كانوا يفعلونه من ذلك فلذلك قال ﷺ: "ولا صفر" وقد أخرج الامام البخاري رواية ابن عباس التي تدل على هذا التفسير قال: "كانوا يرون أن

(١) الحشفة: ما فوق الختان، وهي رأس الذكر، يراجع: لسان العرب ٩/٤٧ مادة (حشف).

(٢) ندبته: الدين حظيرة الغنم اذا كانت من القصب، النهاية لابن الأثير ٢/٩٩، والمراد هنا: معطن الابل، والمعنى: ندخل البعير أجرب الحشفة في المعطن فيجرب الابل كلها. (يراجع: تحفة الأحوذى ٦/٣٥٤).

(٣) مسند أحمد ١/٤٤٠، وجامع الترمذى ٣/٣٠٥، أبواب القدر، حديث رقم (٢٢٣٠).

(٤) لطائف المعارف ص ٧٤، وفتح الباري ١٠/٢١٠.

(٥) صحيح البخاري مع الفتح ١٠/٢١٠.

(٦) صحيح مسلم ٤/١٧٤، كتاب السلام، حديث رقم (٢٢٢٢) وفتح الباري ١٠/٢١٠.

العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفر، ويقولون: إذا برأ الدبر (١) وعفا الأثر (٢)، وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر، قدم النبي ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج، فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاضم ذلك عندهم فقالوا: يا رسول الله أى الحل؟ قال: حل كله“ (٣) وسئل الامام مالك عن قوله ”لا صفر“ قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر، يحلونه عاما ويحرمونه عاما فقال النبي ﷺ: ”لا صفر“ (٤)

٢ - أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يستثنون بصفر ويقولون انه شهر مشئوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك، ورجح هذا القول ابن رجب الحنبلي. (٥)

ويجوز أن يكون المراد الدواب التي في البطن، والتي هي أعدى من الجرب بزعمهم وأن يكون المراد تأخير المحرم إلى صفر وهو ما يسمى بالنسيء، وأن الصفرين جميعا باطلان لا أصل لهما، ولا تصريح على واحد منهما (٦)، وكذلك يجوز أن يكون المراد هو نفى التشاؤم بصفر، لأن التشاؤم بشهر صفر من الطيرة المنهى عنها لقوله ﷺ، لا طيرة، ويكون قوله ”ولا صفر“ من باب عطف الخاص على العام وخصه بالذكر لاشتهاره. فالنفى -والله أعلم- يشمل جميع المعانى التي فسر العلماء بها، لأنها جميعا باطلة لا أصل لها ولا تصريح على واحد منها.

والتشاؤم بشهر صفر أو بيوم الجمعة أو يوم السبت أو غيره من الأوقات أو بالملوقات أو بالطيور كله من جنس الطيرة والتطير التي نهى عنها النبي ﷺ وعدها شركاً، كما في حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ”الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا الا، ولكن الله يذهب بالتوكل“ (٧) وانما جعل ذلك شركاً لا اعتقادهم أن

(١) الدبر: أى ما كان يحصل بظهور الابل من الحمل عليها، ومشقة السفر، فانه كان يبرأ بعد انصرافهم من الحج- (فتح البارى ٤٢٦/٣)

(٢) عفا الأثر: أى كثر وبر الابل الذى حلق بالرجال (فتح البارى ٤٢٦/٣)

(٣) صحيح البخارى مع الفتح ٤٢٢/٣، كتاب الحج، حديث رقم: ١٥٦٤.

(٤) سنن أبى داود ٢٣٣/٤، كتاب الطب. (٥) لطائف المعارف ص ٧٤.

(٦) شرح صحيح مسلم للنووى ٢١٥/١٤.

(٧) سنن أبى داود ٢٣٠/٤، كتاب الطب، حديث رقم (٣٩١٠)، وسنن الترمذى ٨٤/٣ - ٨٥، أبواب السير، حديث رقم: ١٦٦٣، وقال الامام الترمذى: حديث حسن صحيح.

ذلك يجلب نفعا أو يدفع ضرا، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى، وقوله ”ولكن الله يذهب به بالتوكل“ إشارة الى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بمعارض له من ذلك. وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن اسماعيل بن أمية عن النبي ﷺ: ”ثلاثة لا يسلم منهن أحد، الطيرة والظن والحسد، فاذا تطيرت فلا ترجع، واذا حسدت فلا تبغ، واذا ظننت فلا تحقق، وروى الامام أحمد وغيره عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: ”من ردت الطيرة عن حاجة فقد أشرك، وقال: وكفارة ذلك أن يقول أحدهم: اللهم لا طير الا طيرك، ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك“ (١) وفى رواية أبى هريرة التى أخرجها البخارى فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: لا طيرة، وخيرها الفال، قالوا: وما الفال يا رسول الله؟ قال: ”الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم“ (٢) وفى رواية أنس: ”ويعجبني الفال الصالح“ (٣) وقد أخرج الطبرى عن عكرمة قال: ”كنت عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال ابن عباس: ما عند هذا لا خير ولا شر“ (٤) مبادرة منه بالانكار عليه لئلا يعتقد أن له تأثيرا فى الخير والشر.

قال الأزهرى: كانت العرب مذهبها فى الفال والطيرة واحد فاثبت النبي ﷺ الفال واستحسنه وأبطل الطيرة ونهى عنها (٥)، وقال ابن بطال: جعل الله فى فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافى وإن كان لا يملكه ولا يشربه. (٦)

وقال ابن القيم: ”ليس فى الاعجاب بالفال ومحبته شىء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الانسانية التى تميل الى ما يوافقها ويلائمها، كما أخبرهم ﷺ أنه حبيب إليه من الدنيا النساء والطيب، وكان يحب الحلواء والعسل، ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمتع اليه، ويحب معالى الأخلاق ومكارم الشيم، وبالجمله يحب كل كمال وخير وما يفضى اليهما، والله سبحانه قد جعل فى غرائز الناس الاعجاب بسماع

(١) مسند أحمد ٢/٢٢٠، وقال أحمد شاكر: اسناده صحيح.

(٢) صحيح البخارى مع الفتح ١٠/٢٦٤، كتاب الطب.

(٣) أيضا. (٤) تفسير الطبرى ٧/١٧٠.

(٥) تهذيب الأزهرى ١٥/١٢. (٦) فتح البارى ١٠/٢٦٤.

الاسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم اليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع، استبشرت بها النفوس وانشرح لها الصدر وقوي بها القلب، وإذا سمعت أصدادها أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ومقارنة الشرك". (مفتاح دار السعادة ٢ / )

وأخرج الترمذى وصححه من حديث أنس "أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا نجيح يا راشد" وأخرج أبوداود بسند حسن عن بريدة "أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً يسأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه روى كراهة ذلك في وجهه".

فظهر أن التطير كان في الجاهلية معروفاً، فيتطيطرون بصوت الغراب، وبمرور الضبي، وبالأزمنة والأوقات، "وكان التشاؤم في العجم إذا رأى الصبي ذاهباً إلى المعلم تشاءم أو راجعاً تيمن، وكذا إذا رأى الجمل موقراً حملاً تشاءم فإن رآه واضعاً حملاً تيمن، ونحو ذلك فجاء الشرع برفع ذلك كله وعده شركاً، وذلك إذا اعتقد أن الذي يشاهده من حال الطير موجبا ما ظنه ولم يضيف التدبير إلى الله تعالى، فأما إن علم أن الله هو المدبر ولكنه أشفق من الشر لأن التجارب قضت بأن صوتاً من أصواتها معلوماً أو حالاً من أحوالها معلومة يردفها مكروه فإن وطن نفسه على ذلك أساء، وإن سأل الله الخير واستعاذ به من الشر ومضى متوكلاً لم يضره ما وجد في نفسه من ذلك، وإلا فيؤاخذ به، وربما وقع به ذلك المكروه بعينه الذي اعتقده عقوبة له كما كان يقع كثيراً لأهل الجاهلية - والله أعلم - وإنما كان يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال". انتهى ما قاله الحافظ ابن حجر نقلاً عن الحلیمی. (١)

( يتبع )

